سعدى الشيرازى ومصر والنيل فى شعره

مقـالة بقـــلم

الدكتــور محمود محروس قشطه

الأستاذ المساعد بكلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر

مقـــــدمة :

سأتناول فى هذه المقالة الحديث عن سعدى الشيرازى ، مع الاهتمام بالمقالات الحديثة التى تناولت حياة هذا الشاعر الأخلاقى الكبير ووجهات النظر الجديدة التى تتناول حياة هذا الشاعد العظيم وثقافته وأسفاره ، وسأتناول فى القسم الثانى من هذه المقالة القصيرة الحديث عن منظـــومة الشاعر التى تتناول قصة « يوسف وزليخـــــا » ، وغيرها من المقطوعات والغزليات التى أشار فيها الشاعر الى مصر أو النيل ·

اقليم فارس مهد الشاعر سعدى الشيرازى :

على الرغم من اختلاف وجهات نظر الايرانيين فى أغلب الأدور ، الا أن جميع المواطنين الايرانيين يعتقدون أن اقليم فارس هو أحد الأقاليم الايرانية العظيمة ، ومن مفاخره البارزة والتى لا نظير لها نشأة الشاعرين العظيمين حافظ وسعدى على أرضه ، هذان الشاعران اللذان سيبقى اسماهما باقيين حتى الأبد · ومشرف الدين المعروف بسعدى ، حصل على هذا التخلص من سعد بن أبى بكر بن سعد بن زنكى · وقـد ولد مشرف الدين فى أواخـــر القرن الثانى عشر الميلادى ، وكما أشار هو نفسه فى البوستان مات أبوه فى الصغر وبقى يتيما ، فهو يقول :

ـ عندما ترى يتيما مطرق الرأس أمامك ، لا تقبل وجه ابنك ·

- واذا بكى اليتيم من يداله ، واذا غضب من يحمل عنه همومه (١) ٠

وهى القطعة التى مطلعها :

- ان لدى من ألم الأطفال خبر ، فقد رحل عنى والدى وطواه الموت فى الصغر (٢) ٠

وهذا الشاعر المشهور من ناحية الذوق والحس الاجتماعى ومحبة الجنس البشرى والرحمة والمروءة جدير بأن يكون شاعر ايران المختار والمحبوب ٠ ولم يكن سعدى ، مثل جلال الدين والعطار صوفيا خالصا ، وانما يجب أن يقال أنه كان نصف صوفى ونصف دنيوى ٠ والواقع أنه « لا يمكن أن يطلق على سعدى أنه أحد شعراء الصوفية ، ولكن يمكن أن يقال أنه استخدم الألفاظ والمصطلحات الصوفية كقالب لأداء المعانى والعبارات ، ولم يكن يقصد منها التأليف الصوفى وادعاء التصوف (١) ٠

ويصف الأستاذ حبيب نعمائى فى مقالة له تحت عنوان « الشيخ سعدى الشيرازى » بأنه رسول اللغة الفارسية وأن لغته هى معجزته ، وانه اذا تم التجاوز عن فضائله الأخرى ، فان النقطة التى يجب الاهتمام بها هى لغته ، حيث أن شعراء ايران العظام الآخرين - ويجوز العالم - لم يحققوا مثل هذه المعجزة ٠ اننا فى هذا العصر واخلافنا فى العصور التالية ، لا نتحدث بلغة الفردوسى ، ولا بلغة حافظ ، ولا بلغة مولانا ، ولا بلغة الآخرين ، فلغتنا هى لغة سعدى ، فهو أستاذ لا نظير له ومعلم عظيم ، وهو شمس تطوف بالآفاق،

---

(١) سايكس (سير بيرسى) : تاريخ ايران ، ترجمة سيد محمد فخر داعى كيلانى، جلد دوم ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ٠

(٢) دكتورة عفاف زيدان وآخرون : اللغة الفارسية ، ص ٢٩٣ ٠ ونص هذا البيت بالفارسية كما يلى :

مرا باشد أزدرد طفـــــلان خبـر كه درخردى أز سربرفتم بدر

(١) سايكس (سيربيرسى) : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ٠

فمن نورها وضيائها تستمد المعارف البشرية النور والضياء (١) ٠

أسفار سعدى وأثرها فى تشكيل ثقافته :

تلقى سعدى بعد وفاة والده العلم فترة فى مدرسة نظامية بغداد المشهورة وبعد ذلك سافر الى كاشغر ، وكانت هذه الزيارة فى عام ١٢١٠ م ، كما أشار الشاعر نفسه اليها ٠ وقام سعدى بأسفار طويلة ، وذهب الى معبد سومنات فى الهند ، وله حكاية هناك مع راهب هندى ٠ ووقع أسيرا فى قبضته الصليبيين فى طرابلس الشام ، وفى النهاية دفع فديته أحد المعارف ونجا من الأسر ٠ وطبقا لاحدى الروايات زار سعدى مكة خمس عشرة مرة، وهذا يبين همة سعدى ومضاء عزمه فى القيام بالرحلات مع الأخذ فى الاعتبار بعد الطريق ووسائل السفر تلك الأيام ، وقد زار أيضا مصر والحبشة وآسيا الصغرى (١) ٠

يقول الأستاذ حبيب نعمائى فى هذا الخصوص : « شاب من مدينة شيراز ، عندما يرى دولته مضطربة وكشعر زنجى سوداء (٢) ، يحزم متاعه من الوطن العزيز ، لاجئا الى الدول الاسلامية ، ويتلقى العلم فى نظامية بغداد ، ويتتلمذ على الشيخ أبى الفرج الجوزى ، ويصعد المنبر فى المساجد ويعظ الناس ، ويسرع الخطى لزيادة الكعبة ، ويجتاز أغلب البلاد بقدم السياحة وينظر العبرة ، ويعاشر ويخالط رجال القوافل من العرب ، ويبتلى بقطاع الطرق واللصوص ، ويطوى الصحارى سيرا على الأقدام، ويتعامل مع المرجل والابريق والحجر المحروق ، ويصارع النمر ، ويعمل فى الأعمال الشاقة ، ويتزوج وينجب ، انه شجرة راسخة ذات هيكل قوى عندها القدرة على تحمل هذه المصائب » (١) ٠

---

(١) حبيب نعمائى : شيخ سدى شيرازى « مقالة بمجلة يغما ، العدد رقم ٣٥٦ ، اردیبهشت ٢٥٣٧ شاهنشاهى (١٣٥٦ هـ ٠ ش) ٠ ص ٦٥ ٠

(١) سايكس (سير بيرسى) : تاريخ ايران ، ترجمهء محمد فخر داعى كيلانى، جلددوم ، ص ٢٣٠ ٠

(٢) هنا يلعب الكاتب بالالفاظ ، فكلمة « زنكى » اسم علم لحاكم اقليم فارس فى تلك الايام ، وهى اسم عام بمعنى « الزنجى » أيضا ، ويوحى الاسم بالسواد ٠

(١) حبيب يغمائى : المرجع السابق ص ص ٦٥ ، ٦٦ ٠

استقرار السعدى وعكوفه على التاليف وأفكاره

يقال ان السعدى قد عمر ما يقرب من قرن من الزمان (٢) · وقام بأسفار كثيرة - كما ذكرنا - حيث قد طاف من بلاد الهند الى ديار طرابلس فى الغرب · ونتيجة لاجتياز الآفاق واللقاء بأصناف الرجال من كل قوم وجنس ومن كل دين وايمان صار سعدى صاحب مشرب واسع وسعة صدر بدون نظير ، وان اتساع مشربه وروحه العالمية يجعله أكثر امتيازا وأعلى درجة من الأشخاص الغربيين المعاصرين له وحتى من العظماء والمتفكرين فى عصر الحروب الصليبية » (١) ·

وعلى كل حال عندما وصل هذا الرجل الى سن الكمال أوقف أسفاره، وعاد الى وطنه الأصلى شيراز (٢) · وبالرغم من محبة سعدى لوطنه والاعتزاز به ، الا أن هذا لا يتعارض مع حبه ومدحه لأوطان أخرى مثل مصر (٣) ·

بعد استقرار السعدى فى شيراز - بعد رحلاته الطويلة - كتب هناك كتابيه البوستان والكلستان · والكلستان هو من الكتب التى يقرأها كل مبتدىء فى اللغة الفارسية · ومع أن فصاحة سعدى وبلاغته جعلت فهم معانى هذا الكتاب أمرا صعبا ، الا أنه مع هذا له قراء أكثر من أى كتاب آخر فى ايران بعد القرآن الكريم · ويجسم لنا سعدى فى صفحات الكلستان حوادث الأسفار وحياته ، ويضحك القراء فى كل لحظة على ذكاء السعدى ومقدرته·

ويدل كتاب الكلستان جيدا كيف يختلف منهج الأخلاق العامة فى أرض الشرق عن الغرب ، فعلى سبيل المثال يستنتج من الحكاية الأولى فى كتاب سعدى أن « الكذب المقترن بالمصلحة أفضل من الصدق المثير للفتنة » · وفى حكاية الجندى الذى لم يحصل على مخصصاته من الغذاء ، وقد تأخر راتبه، فيفر من ساحة القتال ، يلتمس له سعدى الأعذار · وان نوع الأفكار العامة وكيفيتها الخاصة بالشعب الايرانى - حتى فى هذه الأيام - لا تختلف عن

---

(٢) وقد ادركته الوفاة بين عامى ٦٩١ هـ و ٦٩٥ هـ ·

(١) على دشتى : قلمرو سعدى ، ص ٢٢٨ ·

(٢) سايكس (سير بيرسى) : تاريخ ايران ، ص ٢٣٠ ·

(٣) على دشتى : المرجع السابق ، ص ٣٦١ ·

القضايا الأخلاقية فى عصر السعدى · واذا لم يأخذ القارىء الأوربى هذه النقطة فى إعتباره ، فلن يفهم آراء السعدى وأفكاره ومقاصده بكل تأكيد · يقول الأستاذ براون : « ان كتابات السعدى هى مرآة عامة تعكس الشرق ، فقد شرح الجوانب الأخلاقية والحياة الشرقية ، وجسم جميع شئونها من أعلاها الى أدناها ، ووضعها أمام أعيننا » · وفيما يلى عدة أبيات من الكلستان كنموذج :

ـ ان العمر ثلج وشمس تموز ، وقد بقى القليل أيها السيد فلما الغرور الآن ·

ـ يا من تذهب الى السوق خالى اليد ، أخاف أل تجلب معك حتى منديلا ·

ـ كل من يأكل ما زرعه وهو لا يزال غير ناضج ، يجب أن يقطف ثمره وقت حصاده ·

ـ فاستمع الى نصيحة سعدى يا عزيزى وانصت ، فان الطريق هكذا فكن رجلا واذهب الى حال سبيلك (١) ·

مذهب سعدى :

ان سعدى هو مسلم بكل معنى الكلمة سنى المذهب ، ولم ينس القرآن والصلاة اللذين تعلمهما من الصغر ، وهو يمدح المولى جل وعلا ورسول

---

(١) سايكس (سير بيرسى) : تاريخ ايران ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ · ونص الابيات بالفارسية كما يلى :

عمـــر برف است وآفتاب تمـــوز	اندكى مانده خـواجه غـره هنوز
اى تهى دســـت وقته در بازار	ترسـمت برنيـــاورى دســـتار
هركه مزروع خويش خورد بخويد	وقت خـــرونش خوشـــه بايدجيد
اندكى مانده خواجه غـــره هنوز	ره جنيـــن اسـت مـــرادباش وبرو

الاسلام والخلفاء الأربعة ، الا أن له ارادة واخلاص أكثر لعلى بن أبى طالب وأبنائه عليهم السلام ، وهو يأمل الوسيلة من بنى فاطمة وأن يكون الايمان هو خاتمة قوله (٢) ٠

الشاعر والبيئة :

ان سعدى هو نتاج وثمرة بيئته الاجتماعية ، ولأنه كان شاعرا عالما خبيرا مجربا وذا نبوغ شعرى ، فقد تحدث فى الموضوعات المختلفة حيث يوجد تنوع خاص فى حديث هذا الرجل العظيم ، وهذه ميزة أخرى لا تتوفر لسائر أساتذة الأدب ٠

وخلاصة القول أنه يمكن أن يقال أن جميع الشعراء والكتاب (كسائر الناس) يتأثرون ببيئتهم (السياسية والاقتصادية والدينية وغيرها) ، الا أن تأثيرهم فى المجتمع متغاير (بسبب ادراك حقائق البيئة) ٠ وسيكون للفردوسى ونظامى وسعدى والمولوى وحافظ ـ لآلاف السنين وطالما ايران والايرانيون باقون ـ تأثير فى فكر وروح هذه الأمة بل العالم (١) ٠

تقييم لسعدى :

ومجمل القول وخلاصة الحديث هو أننا نريد من سعدى كلاما جميلا وبليغا ولا شىء غير ذلك ، كما لا نشترى الخضار من العطار ولا نطلب المدفأة من الفنان ٠ وسعدى من هذه الناحية فى منتهى الكمال والتمكن ٠ واذا كان سعدى قد قال شعرا على النهج العلمى (كما هو المتوقع من البعض) ، وكان يبدع نظما مثل « نصاب الصبيان » أو « الفيه » (فبالتأكيد ليس الهدف

---

(٢) حبيب يغمائى : شيخ سعدى شيرازى ، مجلة يغما ، العدد رقم ٣٥٦ ، ص ٦٦ ٠ وواضح مدى تعصب الاستاذ حبيب يغمائى للمذهب الشيعى ، رغم اعترافه بأن الشيخ سعدى كان سنى المذهب ٠

(١) دكتر محمود شفيعى : « همه كونيد ولى كفتهء سعدى ٠٠٠ » (يقول الجميع ولكن قول سعدى ٠٠٠) ، مقالة منشورة بمجلة « أرمغان » ، العدد ٢ ، اردیبهشت٢٥٣٧ شاهنشاه (= ١٣٣٧ هـ ٠ ش ٠) ، ص ٨٩ ٠

تخطئه مثل ذلك النوع من النظم) · والبحث فيما يتعلق بالشاعر المتعهد والملتزم ووظيفة الشعر فى المجتمع ، وهو بحث جديد وجدير بالحديث والبحث ليس فى نطاق هذه المقالة ، ولكن يمكن أن يقال بجرأة أن الشعر الفارسى الجميل بشكل عام ليس هناك ما يشوبه من هذه الناحية (١) ·

مثلثات سعدى :

ما هى المثلثات ؟ المثلثات جمع الكلمة العربية (مثلثة) ، وهى صفة مستعملة مكان الموصوف ، وكان أصل التركيب (قطعة مثلثة) أو (قصيدة مثلثة) · وفى عرف الأدب الفارسى ، وعلى وجه الخصوص فى محيط شعراء شيراز قيلت (المثلثات) عن الأشعار التى استخدم الشاعر فى نظمها ثلاث لغات أو لغتين ولهجة محلية ، ونماذجها البارزة هى (مثلثات سعدى) · وبناء على ما ذكر فان تسمية المثلثات ـ خلافا لما هو معهود فى اللغة الفارسية ـ ليس بسبب أنها قطع مكونة من ثلاثة أبيات أو ثلاثة مصاريع تتكرر خصائصها الثابتة فى صلب الشعر (كما هو موجود فى المخمسات والمسدسات وغيرها) ، لكن هذه التسمية قد استخدمه على أساس تعدد وتنوع اللغات التى استفاد منهاالشاعر فى أثره · وان مثلثات سعدى عبارة عن مثنوى طويل فى أربعة وخمسين سطرا وثمانية عشر بندا تتكرر فيها أبيات باللغة العربية واللغة الفارسية واللهجة القديمة لشيراز بالتناوب · ومن ناحية المضمون فان مثلثات سعدى عبارة عن رسالة فى النصيحة ، وكل بند منها له مضمون مستقل · وبناء على هذا ففى أبيات مثلثات سعدى الفارسية والشيرازية يتكرر نفس مضمون الأبيات العربية · ومن المعروف أن معانى المثلثات ـ سواء كانت مثلثات سعدى أو غيره ـ غامضة حتى على الايرانيين أنفسهم · وقالب المثلثات ـ كما ذكرنا ـ هو المثنوى وموضوعها هو الحكمة والنصيحة ، ونعلم أن لدينا أثر لسعدى باسم البوستان بهذه الكيفيات نفسها، وهو أعلى نموذج للغة الفارسية وأقوى وأرسخ منظومات الشعر بقيت تذكارا

---

(١) نفس المرجع ، ص ٩٠ ·

(١) دكتر جعفر مؤيد شيرازى : مثلثات سعدى ، حافظ وشاه داعى ، مقالة بمجلة يغما ، العدد ٣٦٢ مهرماه ١٣٥٧ هـ · ش (شوال ١٣٩٨ هـ) ، ص ٤١٧ ـ ٤٢١

لمبدعى الشعر الايرانيين . وان وجود البستان فقط كاف لكى نعتقد أنه اذا كانت هناك أوجه نقص فى المثلثات ، فمن المسلم به أنه ليس بسبب أنها قد نظمت فى قالب المثنوى ، وكان موضوعها الموعظة والنصيحة (١) .

نماذج لبعض الأشعار التى أشار فيها سعدى الى مصر والنيل :

من المعروف تاريخيا أن سيدنا يوسف عليه السلام قد هاجر الى مصر ، والتحق بالعمل عند عزيز مصر ، يقول سعدى عن يوسف ويعقوب :

- سأل واحد ذلك الذى فقد ابنه قائلا : أيها الشيخ العجوز ذو الروح الشفافة !

- ألم تسمع عن رائحة قميصه من حبه والشوق اليه . ولماذا لم ترم فى بئر كنعان ؟ (١)

ويرد يعقوب مشيرا الى هذه الأحوال قائلا :

- نجلس أحيانا على القمة العليا ، ولا نرى وقتا ما هو خلف أقدامنا ! (٢) .

ويشير سعدى الى النيل فى باب العشق - وهو أحد أبواب البوستان - تحت عنوان « صفات بعد الوصول » ، حيث يقول :

- ينشدون الحبيب ، وهو فى الصدور ، وشفاههم ذابلة - عطشا - وهم على شاطىء النهر .

---

(١) دكتر محمود شفيعى : همه كويندرولى كفته سعدى ، ارمغان ، اردیبهشت ماه ٢٥٣٧ شاهنشاهى ، ص ٩٢ . ونص البيتين بالفارسية كما يلى :

يكى برسيد از آن كم كرده فرزند كه اى روش روان بيرخردمند !
زمهرش بوى بيراهن شنيدى جرا درچاه كنعانش ندیدى ؟

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة . ونص البيت بالفارسية كما يلى :

كهى برطارم أعلى نشينيم زمانى بشت باى خود نبينيم !

- لا أقول انهم غير قادرين على الماء ، لكنهم - كمن على النيل - أصيب بالاستسقاء (٣) ٠

ويشير سعدى الى النيل فى موضع آخر فى باب العشق - وهو من أبواب منظومة البوستان كما ذكرنا - فيقول :

- انه يحفظ الخليل من حرارة النار ، كما أنقذ تابوت موسى من لجة النيل ٠

- ولماذا لا يعتقد المدعون ، أن الأبدال على الماء وفى النار يمشون ؟! (١) ٠

وكما ذكرنا فقد عرض سعدى ما حدث له فى رحلاته من أحداث فى كتابيه البوستان والكلستان ، وهناك بعض القصص التى تدور حول حوادث وقعت له فى مصر وبلاد المغرب والحبش (٢) ٠

ومن القصص الهامة - والتى وقعت أحداثها على المسرح المصرى - قصة يوسف وزليخا ، وهى الحادية والعشرون فى باب التوبة ، وتقع فى اثنى عشر بيتا ، وتدور حول قصة « يوسف وزليخا » فى الكتب الدينية ، ولكن الشاعر يرمى بها الىغرض آخر هو دعوة الى ترك اللذائذ العاجلة والاستغفار عما وقع فيه الانسان من آثام قبل فوات الأوان ٠ فاختيار الشخصية مناسب للقصة من حيث التوبة وطلب الاستغفار ، وقد تصلح لأن تكون فى باب العشق الروحى وخشية الله ، اذا نظر اليها من وجهة موقف « يوسف » ، ومطلع القصة :

---

(٣) د٠ محمد موسى هنداوى : سعدى الشيرازى ، ص ٤٠١ ٠ ونص البيتين بالفارسية كما يلى :

دلارام در برد لارام جـــوى لب ارتشنكى خشك برطرف .بوى
نكويم كه بر آب قادر بيئـــد كه بر شـــاطىء نيـــل مستسقيند

(١) نفس المرجع ، ص ٤٠٢ ٠ ونص البيتين بالفارسية كما يلى :

نكه دارد أزتاب آتش خليـــل جو تابوت موسى زغرقاب نيـــل
جـــرا اهل دعوى بدين نكروند كـــه ابدال درآب وآتش روند

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٥٥ ٠

- حين ثملت زليخا من خمرة العشق ، همت بيوسف وأمسكت بيدها أطرافه (١) ٠

ثم يغرق الشاعر بين عبادة يوسف وعبادة زليخا ، فهي تعبد صنما ، وهو يعبد الله ، ويتخذ الشاعر من وضع الصنم فى القصة مدخلا الى الغرض، فيجعل زليخاتستره حين همت بيوسف :

- أخفت فى تلك اللحظة وجهه ورأسه ، حتى لا يرى أعمالها القبيحة (١) ٠

وماذا كان موقف يوسف ؟

- انك تخجلين من وجه حجر ، أنت له من العابدين ! ، ألست أخجل أنا ، من رب الظاهرين ؟ (٢) ٠

ثم يختم الشاعر القصة بالتوبة والاستغفار ، بما يلائم أغراض الباب ومرمى القصة :

- اطلب اليوم الاستغفار ، وجد فى طلبه ، ففى الغد لن يبقى لك مجال للكلام (٣) ٠

ومن غزليات سعدى الجميلة غزلية أنشدها فى وصف شيراز ، وهى الغزلية التى نظمها المستشرق البريطانى براون شعرا بالانجليزية (١) ، وقد

---

(١) نفس المرجع ، ص ٤٥٣ ٠ ونص البيت بالفارسية كما يلى :
زليخا جوكشت أزمى عشق مست بدامان يوسف در آويخت دست

(١) نفس المرجع ، ص ٤٥٣ ٠ ونص البيت بالفارسية كما يلى :
در آن لحظه رويش بيوشيدوسر مبادا كه زشت آيدش در نظر

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٥٣ ٠ ونص البيت بالفارسية كما يلى :
تودر روى سنكى شدى شرمناك مراشرم باد از خداوندباك

(٣) نفس المرجع ، ص ٤٥٤ ٠ ونص البيت بالفارسية كما يلى :
بعذر آورى خواهش امروز كن كه فردا نعاند مجال سخن

- لا تخلصه الأيام من أحضانى ، وانني أحصل على حق القلب قبلات من فمه ٠

- واننى أستولى على الفخ الذى يصيد به خواطر الخلق واستخلصه منـــه ٠

- لكننى لا أمسك تلك الذؤابة ، فان مجموعة كبيرة من قلوب الخـــلق تحت كل تجعيدة من تجعيداتها ٠

- أين محبوبى الذى له قامة الغلام قد صبوا اللطافة على قده كأنها الملابس فوق بدنه ٠

- من لونك ورائحتك ياذا القد السروى والجسد الفضى ذهب رونق نسرين الحديقة ونسترنها (٢) ٠

- ضع قدمك مرة فى الروضتين من أجل النظر ، وانك بهذا تطأ ارغوانها وياسمينها ٠

- ما أطيب التمتع بعيد النيروز خصوصا فى شيراز ، فهو يشـــغل قلب المسافر عن وطنه ٠

- وقد صار عزيز مصر جميلة وجمال يوسف هو ورودها وأزهارها ، وان ريح الصبا تحمل رائحة قميصه الى المدينة ٠

- ولا يكون عجيبا اذا بكى السحاب على أشجار الورد وضحكت الأزهار فى خميلتها غيرة منك ٠

---

(١) سايكس (سير بيرسى) : تاريخ ايران ، ص ٢٣١ ٠

(٢) النسرين : زهرة بيضاء صغيرة بدون أشواك طيبة الرائحة ، والنسترن : وتسمى أيضا النستر زهرة شجرية ذات أوراق بيضاء وحمراء وتكون فى البـلاد الحارة طيبة الرائحة جدا ، حيث يتم الحصول على العرق منها ، الا أنها تكـــون قليلة الرائحة فى المناطق الباردة ٠

- وبهذه الخصال التى لك لا يكون عجيبا اذا مررت على ميت أن تدب الحياة من كفنـــه ٠

- ولم تبق فتنة فى أيام الشاه سوى سعدى ، فالفتنة من جمالك ، وفتنة الخلق من كلامه (١) ٠

ومن غزليات سعدى الجميلة غزلية يتحدث فى آخر أبياتها عن نهر النيل العظيم ، ويقول كيف يفكر فى المطر والغيث ذلك الذى هو غارق فى ميـــاه النيل تحيطه من كل جانب وتشفى ظمأه ، حيث يقول فى هذه الغزلية - التى أعطى لها مؤلف كتاب « بركزيده ئى ازغزلهاى سعدى » عنوانا اجتهاديا استخلصه من ألفاظ الغزلية نفسها هو « منظر حسن » - هذه الأبيات الجميلة :

- ماذا يصنع العبد الذى لا يخضع للامر ، وماذا تصنع الكرة التى لا تعجز أمام الصولجان ٠

- ان ذا القامة السروية والحاجب القوسى اذا أطلق سهما ، فان عاشقه هو ذلك الذى يضع على عينه السهم ٠

---

(١) سليم نيسارى : بركزيده ئى ازغزلهاى سعدى ، ص ٣٩ ٠ ونص الابيات بالفارسية كما يلى :

رها نميكند ايام در كنـــاب منش — كه داد دل بستانم به بوسه ازدهنش
همان كند بكيرم كه صيد خاطر خـلق — بدان همى كندودركشم به خويشتنش
وليك دست نيارم زدن درآن سرزلف — كه مبلغى دل خلق است زيرهرشكنش
غـــلام قامت آن لعبتم كه برقد أو — بريده اندلطـــافت جوجامه بربدنش
زرنك وبوى توای سروقدسيم اندام — برفت رونـــق نسرين باغ ونسترنش
يكى به حكم نظر باى دركلستان نـه — كه بايمال كنى ارغـــوان وياسمنش
خوشا تفرج نوروز خاصه درشيراز — كه بركند دل مرد مسافر از وطنش
عزيز مصر حمن شد جمال يوسف كـل — صبابه شهر در آورد بوى بيرهنش
شكفت نيست كر از غيرت توبركلزار — بكريد وبخنـــدد شكوفه برجمنش
درين روش كەتوئى كربه مرده بركذرى — عجب بناشد اكر نعره آيدازكفنش
نماند فتنه درايام شاه جز سعدى — كەبرجمال توفتنه استوخلق برسخنش

ـ خذ بيدى ، فان سوء الحظ قد تجاوز الحد ، واستولى على رأسى ، فاننى أهرق الروح تحت أقدامك ٠

ـ فياليتك رفعت الحجاب عن منظر الحسن ذلك ، حتى يشاهد الخلق جميعا ذلك المتحف المليء بالصور ومظاهر الجمال ٠

ـ وقد حيرت عيون الجميع فى أوصافك ، وطالما لا يقولون عيبا آخر فاننى حيران ٠

ـ لكن ذلك النقش الذى أراه فى وجهك ، ليس للجميع عيون تراه ٠

ـ وان سعدى لا يهاب ملامة الخلق يا للاسف ، فكيف يفكر فى المطر ذلك الذى تغرقه مياه النيل (١) ٠

الخـــــاتمة :

وهكذا نرى من تلك النماذج الشعرية مدى تأثر هذا الشاعر الكبير برحلاته وأسفاره ، ومنها زيارته لمصر ومشاهدته للنيل العظيم ، وكيف انعكست فى انتاجه الأدبى ، مما يدل على دقة ملاحظته وسرعة انطباعه ورقة مشاعره وقوة تعبيره وسعة أفقه وانسانية أفكاره وعالمية آرائه ٠

---

(١) سليم نيسارى : المرجع السابق ، ص ١٨ ٠ والابيات بالفارسية كما يلى :

جه كند بنده كه كردن ننهد فرمان زا ... جه كند كوى كه عاجز نشود جوكان را
سرو بالاى كمـــان ابرو اكر تيرزند ... عاشق آن است كه برديده نهد بيكان را
دست من كير كه بيحاركى ازحد بكرشت ... سرمن دار كه دربای توريزم جان را
كاشكى برده برافتادى از آن منظر حسن ... تاهمه خلق به بينند نكا رستان را
همه راديده در اوصاف توحيران ماندى ... تادكـــر عيب بكويند من حيران را
ليكن آن نقش كه درروى تومن ميبينم ... همه راد يده نباشد كه به بينندآن را
سعدى از سرزنش خلق نترسد هيهات ... غرقه درنيل جه انديشه كند باران را

مراجع البحث :

١ ـ دكتر جعفرِ مؤيد شيرازي : مثلثات سعدى ، حافظ وشاه داعى، يغماشمارهء مسلسل ٣٦٢ شمارهء هفتم مهرماه ١٣٥٧ هـ ٠ ش (شـوال ١٣٩٨ هـ) ٠

٢ ـ حبيب يغمائى : شيخ سعدى شيرازى ، يغماشمارهء مسلسل ٣٥٦ سال سى ويكم شمارهء دوم ارديبهشت ماه ٢٥٣٧ (١٣٥٧ هـ ٠ ش ٠) (جمادي الأولى ١٣٩٨ هـ)

٣ ـ ساپكس (سپرپيرس) : تاريخ ايران ، ترجمهء محمد فخر داعى كيلانى ، جلددوم ، تهران ٠

٤ ـ سليم نيسارى : برگزيده ئى ازغز لهاى سعدى ، تهران مهرماه ١٣٥٠ د ٠ ش ٠

٥ ـ علي دشتي : قلمرو سعدي ، چاپ چهارم ، تهران ٠

٦ ـ د٠ عفاف زيدان وآخرون : اللغة الفارسية ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ٠

٧ ـ د٠ محمد موسى هنداوى : سعدى الشيرازى ، القاهرة ٠

٨ ـ دكتر محمود شفيعى ! همه كويند ولى گفتهء سعدى ٠٠٠ ، أرمغان سأل شصتم ، دورهء چهل وهفتم ـ شمارهء دوم ، أرديبهشت ماه ٢٥٣٧ (١٣٥٧ هـ ٠ س ٠) ٠